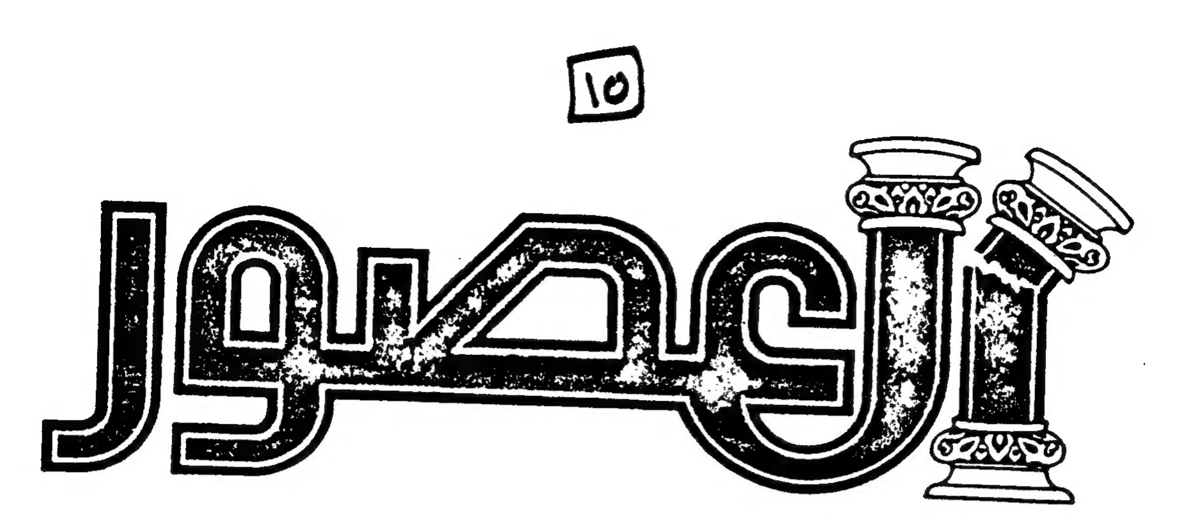
١٥



مجلة علمية نصف سنوية، مُحكّمة، تعنى بنشر البحوث التاريخية والآثارية والحضارية

المجلد التاسع
الجزء الأول
يناير ١٩٩٤م
رجب ١٤١٤هـ



تصدر عن : دار المريخ للنشر - لندن

العصور، المجلد التاسع، الجزء الأول، ١ - ١٨٤ (١٩٩٤م).

المحتــويات

القسم العربي

العصور، المجلد التاسع، الجزء الأول، ٦٣ ـ ٧٨ (١٩٩٤م).

تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى

للدكتور غيثان بن علي بن جريس

ملخص البحث : تناول البحث المكان الجغرافي لمدينة جرش ومخلافها، والوضع التاريخي لتلك البلدة ومناطقها مبيناً اهميتها التاريخية، خاصة في زمن الدولة الإسلامية الأولى أيام الرسول الكريم، ومن اتى من بعده عبر الحقب الزمنية التالية، إلى جانب الأهمية الحضارية ممثلة في التجارة والصناعة والزراعة، ووجود المراعي وكثرة الماشية. واشار البحث إلى تسميتها وإلى الروايات المتضاربة في التسمية، وإلى بعض الرجال الذين انجبتهم المنطقة خاصة في الميدان العسكري، وإلى ثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهلها وإلى وجود طبقات اجتماعية فيها زاولت مهناً ترفّع العرب عن ممارستها لان جبلتهم لا ترغب العمل في الصنائع، وممن تولى هذه المهن اهل الكتاب وطبقات الموالي والعبيد.

وتعد جرش آنذاك، معملاً عسكريا سواء كان في صنع الرجال وتدريبهم على اساليب القتال، او في صنع الآلات الحربية كالمنجنيقات والدبابات، الأمر الذي دفع بعض رجال الحجاز إليها لتتعلم بعض الصناعات وفنون الحرب التي لم يعرفها الحجازيون من قبل. ولهذا فإنا نرجو من القائمين على مصالحة الآثار في المملكة العربية السعودية، بذل الجهد قدر الإمكان لعلّ وعسى أن نعثر على بعض الصور الحضارية لهذه المدينة لناخذ منها قصة حضارتها عبر الصور.

المخلاف، وجمعه مخاليف، يقصد به الناحية او الإقليم، وقد أورد ابن منظور كلمة مخلاف على انها ناحية من نواحي الأرض، او منطقة من المناطق، وقد يكون المخلاف صغيراً او كبيراً حسب عدد المدن او القرى او العشائر والقبائل التي تسكنه[1]، والمخلاف او الإقليم، أو الناحية، أو الكورة أو الرستاف، جميع هذه المسميات تعني منطقة معينة تشتمل على عدة مدن وقرى لهـا مميزات وخصائص اشتهرت بها.

وتسمية مخلاف جرش في هذه الدراسة ، ليست من ابتكار الباحث، وإنما ورد ذكره بهذا الاسم في كتب الجغرافيين الأوائل ، ككتاب ابن خرداذبه، واليعقوبي، وابن قدامه، وغيرهم من الذين ذكروا جرش بهذه التسمية، وجلهم عدها من المخاليف التابعة لولاية مكة المكرمة، خلال القرون الإسلامية الأولى.[2] وفي هذه البحث سوف نركز على سبب التسمية، وعلى الموقع الجغرافي، وعلى المجال التاريخي

(١) انظر، ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل، لسان العرب، تنسيق وتعليق على شيري (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م). جـ٤، ص ص ١٩١ ـ ١٩٢.

(٢) كان لمكة المكرمة العديد من المخاليف التابعة لها، سواء في المنطقة الواقعة بين حاضرة مكة والمدينة المنورة، او في الأجزاء الواقعة إلى الجنوب من مكة المكرمة والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى، ولمزيد من التوضيح انظر: اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب، **كتاب البلدان**، تحقيق ام. دي غوي (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩١م)، ص ص ٣١٤ ـ ٣٢٠ (وهذا الكتاب ضمن الأعلاق النفسية لابن رستة): ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله، **كتاب المسالك والممالك**، تحقيق، ام. دي غوي (ليدن: مطبعة بريل، ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م)، ص ص ١٣٣ ـ ١٣٩.

السياسي منه والحضاري خلال القرون الإسلامية المبكرة.

اما عن التسمية باسم جرش، فقد ورد ذكرها في بعض المصادر التاريخية الأولى على أن تبعا بن أسعد ابو كرب، خرج غازياً من اليمن في غزوته الأولى، وعندما وصل إلى بلاد جرش بأرض السراة، رأى موضعا قليل الأهل كثير الخيرات، فخلف فيه نفراً من قومه، فقالوا: بما نعيش؟ فقال: اجترشوا من هذه الأرض، وأثيروها، وأعموروها فسميت جرش.(٣) وقد أورد ياقوت الحموي هذه القصة إلا انه لم يتفق قوله مع الرواية السالفة الذكر على أن تبعا بن أسعد ترك بعض قومه عندما رأى كثرة الرخا وقلة السكان، وإنما البعض من قومه تحيروا وضعفوا عن اللحاق بالجيش، فقال لهم: اجرشوا هاهنا، اي ألبثوا، فسميت جرش بذلك.(٤) ويذكر البكري انها سميت بجرش بن أسلم، لأنه أول من سكنها(٥)، ويتفق ياقوت الحموي مع البكري، نقلا عن ابي المنذر هشام، فيذكر أن جرش بن أسلم هو منبه بن اسلم ابن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك ابن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن لغوث بن ايمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ، وهو أول من سكن جرش فسميت باسمه(٦). ويعضد هذا القول، بعض علماء النسب، كابن حزم الأندلسي، والوزير المغربي اللذان يؤكدان ان جرش أحد ابناء أسلم بن زيد الحميري.(٧) ويورد ياقوت الحموي رأياً آخر نقلاً عن أبي المنذر هشام ابن الكلبي قوله: «جرش قبائل من افناء الناس تجرشوا، وكان الذي جرشهم رجل من حمير يقال له زيد بن أسلم، خرج بثور له، عليه حمل شعير في يوم شديد الحر فشرد الثور، فطلبه فاشتد تعبه فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم يجرش الشعير وليدعون على لحمه، فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش، وكل من أجابه وأكل معه يومئذ كان جرشيا.(٨)ولم يذهب ياقوت بعيداً عن الراي الذي قاله البكري، نقلا عن كتب النسب المبكرة، ولكن في هذه الرواية لم يرد ذكر جرش، وإنما ورد باسم زيد ابن أسلم، بينما ورد في الرواية السابقة باسم منبه ابن أسلم،وبهذا لا يكون فرقا بيّنا بينهما لأنه من المحتمل أن زيدا وأسلم هما اسم لشخص واحد، ثم بعد تمكنه من القبض على ثوره ووعدهم بجرش الشعير على لحم الثور، صار يطلق عليه اسم جرش(٩)،ثم نسبت البلاد التي حصل بها جرش الشعير واكل لحم الثور إلى اسم جرش. ومما يؤكد هذا الراي، أن معاجم اللغة تؤكد على كلمة (الجرش) التي تشير إلى جرش الشيء، بدقة فلا ينعم الدق، وبالتالي يسمى جريشاً ويقال: جرش الملح والحب جرشاً اي لم ينعم طحنه ودقة، وبهذا القول نرى أن زيد أو منبه بن أسلم جرش الشعير على لحم ثوره في منطقة جرش(١٠)، ولهذا السبب سميت المنطقة بهذا الاسم، وربما هذه الرواية اقرب إلى الصحة من رواية تبع بن أسعد، عن أولئك الذين تخلفوا عن مسايرة الجيش، فقال لهم: أجرشوا ههنا، أي ألبثوا، حيث لم نجد عند اللغويين من قال أن الجرش هو المقام أو المكوث في مكان فيه ماء، ولكنهم قالوا: ان الجرش هو الصوت، ويسمى الملح والحب بـ (الجرش) لأنّه حكّ بعضه ببعض فصوت حتى سحق، غير انه لا يكون ناعما.(١١)

أما عن موقع مخلاف جرش، فهناك العديد من

(٣) انظر: ابن هشام، ابو محمد عبد الملك، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت: دار القلم، د.ت)، ص ص ١٩ - ٢٠؛ البكري، عبد الله بن عبد العزيز، **معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع**، تحقيق، مصطفى السقا وآخرين (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مج١، جـ١، ص ٣٧٦.

(٤) ياقوت الحموي، شهاب الدين، **معجم البلدان** (بيروت: دار صادر وبيروت للنشر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، جـ٢، ص ١٢٦.

(٥) البكري، **معجم ما استعجم**، مج١، جـ١، ص ٣٧٦.

(٦) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، جـ٢، ص ١٢٦.

(٧) انظر: ابن حزم أبو محمد علي بن احمد، **جمهرة انساب العرب**، تحقيق لجنة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص ٤٣٦، ٤٧٨؛ الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي، **الايناس في علم الأنساب** (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ١٠٢، ١٢٩.

(٨) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، جـ٢، ص ١٢٦.

(٩) وهذا يدل على الوفاء، بالعهد، واحترامهم له، وربما أنه لا يملك سوى هذا الثور، ومع هذا ضحى بقوام عيشه في سبيل احترام وعده والوفاء به، ولعمري ان هذا العمل من انبل الصفات.

(١٠) ابن منظور، **لسان العرب**، جـ٢، ص ٢٥٠.

(١١) ابن منظور، **لسان العرب**، ص ٢٥٠.

المصادر الإسلامية المبكرة التي أشارت إلى موقع المخلاف، غير أنها لم تكن تتوخي الدقة في رسم هذا الإقليم، فبعض الجغرافيين المسلمين الأوائل كانوا يذكرون جرش عند ذكرهم للمحطات التجارية الواقعة على الطريق الموصل ما بين صنعاء ومكة المكرمة عبر الأجزاء الشرقية من بلاد السراة، ومعظم المصادر التي أشارت إلى تلك الطريق، ذكر المحطات الواقعة إلى الشرق من جرش، فان خرداذبة والإدريسي أشارا إلى المحطات التي تربط مكة المكرمة بصنعاء، وبعد ذكرهما لمحطة مدينة بيشة، استمرا في تعداد المحطات صوب الجنوب حتى ذكرا محطة سروم راح الواقعة إلى الشرق من جرش على بعد ثمانية أميال.[١٢] اما أبا الفرج قدامة فلم يتفق مع ابن خرداذبة والإدريسي على أن سروم راح تبعد عن جرش المسافة المذكورة آنفا، علما بأنه لم يذكر المسافة بين البلدتين، لكنه أورد اسم محطة (كتنة) الواقعة إلى الشمال من محطتي سروم وراح، والثجه، واكد أن كتنه هي التي تبعد عن جرش بثمانية أميال.[١٣]وحسب الدراسات الحديثة التي حددت مركز جرش إلى الجنوب من مدينة خميس مشيط بحوالي خمسة عشر كيلو متراً، على الطريق البري الواصل بين مدينتي خميس مشيط ونجران[١٤] (انظر الخريطة رقم «١») فهذا أمر يجعلنا نتوقف ممعني النظر في اقوال كل من الإدريسي، وابن خرداذبة، وقدامة، لأن الطريق التجاري القادم من الأجزاء الشرقية لبلاد السراة تبعد محطاته بعشرات الأميال عن مركز جرش، ثم إن المسافة بين محطة بيشة، ومحطة سروم راح، تبلغ حوالي مئة وتسعة عشر ميلاً حسب ماجاء في كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني، وبين كتنه وبيشة حوالي ثلاثة وثمانون ميلا[١٥]، فليس من المعقول أن يكون البعد بين جرش والمحطتين ثمانية أميال فقط، والمسافة في وقتنا الحاضر بين جرش وبيشة تبلغ حوالي مئة وخمسة وثمانون ميلا[١٦]، ولهذا فمن المحتمل أن يكون الجغرافيين الأوائل قد ذكروا المسافة بين أطراف مخلاف جرش من جهة الشرق، وبين تلك المحطات السالفة الذكر. والباحث يميل إلى هذا الرأي، لأن مخلاف جرش بجميع مدنه وقراه لا يشمل منطقة خميس مشيط وما حولها في وقتنا الحالي فحسب، بل يشمل اغلب أقاليم عسير، وبخاصة الأجزاء السروية، وبالتالي فاسم جرش لم يكن يشمل المدينة، وإنما كان يطلق على اغلب بلاد عشائر قحطان وشهران وعسير.[١٧] وبهذا الامتداد، فإن القسم الشرقي من المخلاف، ربما كان يبعد قليلاً، واحيانا يشمل بعض محطات الطريق التجاري الواصل من صنعاء إلى مكة المكرمة، وإذا كان الأمر كذلك فإن أقوال الجغرافيين الأوائل، ربما تكون قريبة من الصواب.

وممّا يؤكد شمول التسمية على اتساع مخلاف جرش، ماجاء في كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني تحت عنوان (جرش وأحوازها) قوله: «... جرش هي كورة نجد العليا، وهي من ديار عنز بن وائل، ويسكنها ويتراس فيها العواسج من أشراف حمير، وهم ولد يريم ذي مقار القيل، ولهم سؤدد وإجابة اليمانية في أرض نجد إليهم... وجرش في قاع، ولها أشراف غربية

(١٢) ابن خرداذبة، **كتاب المسالك**، ص ١٣٣؛ الإدريسي، محمد بن محمد عبد الله، **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، جـ١، ص ص ١٤٤ ـ ١٤٩؛ (طبعة مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، جـ١، ص ١٤٦.

(١٣) انظر: ابن قدامة، ابو الفرج، **نُبَذٌ من كتاب الخراج ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة**، تحقيق، ام. دي غوي (ليدن: مطبعة بريل، ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م)، ص ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

(١٤) لمزيد من التفصيلات عن جرش في بعض الدراسات الحديثة انظر: حمد الجاسر، **في سراة غامد وزهران، نصوص، مشاهدات، انطباعات** (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩١هـ/١٩٧١)، ص ص ٤٢ ـ ٤٩؛ محمد أحمد معبر، **جرش من المراكز الحضارية القديمة** (خميس مشيط: دار جرش للنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص ١٣ وما بعدها؛ سعيد بن عياش، «مدينة جرش الاثرية وما يقربها من المواضع» **مجلة العرب**، جـ٤، السنة السادسة (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ص ص ٢٤١ ـ ٢٤٨.

(١٥) انظر: الهمداني، الحسن بن أحمد، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الاكوع الحوالي (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ص ص ٣٣٨ ـ ٣٤٠.

(١٦) معلومات مستقاة من مشاهدات الباحث.

(١٧) ولمزيد من التفصيل عن الفخاذ وعشائر بلاد قحطان وشهران وعسير، وأماكن استيطانهم، انظر كتاب، هاشم سعيد النعمي، **تاريخ عسير في الماضي والحاضر**، (د.م: مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، د.ت)، ص ٦ وما بعدها.

بعيدة منها، تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقيها، بينها وبين حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء، ويلتقي بهذا المسيل أودية ديار عنز حتى تصب في بيشة بعطان، فجرش رأس وادي بيشة وتندحة من أودية جرش وفيها أعناب وآبار، وكتنة أول حد الحجاز وعرضها وعرض جرش واحد لأنها منها على خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم...»[١٨] وبهذا فالهمداني يذكر بعض أجزاء مخلاف جرش، فذكر أنها كورة نجد العليا، أي تقع في الأجزاء الغربية من أطراف بلاد نجد، ولهذا المخلاف أطراف ونواحي تجاه الغرب، ويقصد بذلك أطراف بلاد عسير العليا من جهة الغرب، كأبها وماحولها من النواحي[١٩] ثم ذكر حمومة، ويقصد به جبل حمومة أو جبل شكر الذي مازال ماثلا للعيان حول المدينة العسكرية بخميس مشيط من الناحية الشرقية، وقد أوردت حولية الآثار العربية السعودية مانصه: «وعلى بعد ٤/٣كم تقريبا إلى الشرق من جرش، هناك مرتفع جبل حمومة...»[٢٠]

أما تندحة فهي اليوم عبارة عن واد فيه عدة قرى تقع على الطريق بين بيشة وخميس مشيط، وتبعد عن الخميس بحوالي ثمانية عشر كيلو مترا إلى الشرق منها، ويصب وادي تندحة في بيشة.[٢١]

وتسمي بعض المصادر الجغرفية والتاريخية جرش باسم مخلاف، فقدامة ذكر في باب مستقل، سماه (مملكة الإسلام وأعمالها وارتفاعها)، وعند الحديث عن شبه الجزيرة العربية، خصوصا الأجزاء الجنوبية من مكة المكرمة، والممتدة إلى مدن اليمن الكبرى، قال: «ولها أعمال تنسب إلى المخاليف والأعراض» وذكر جرش على أنها من المخاليف الواقعة في تلك الأجزاء.[٢٢] أما اليعقوبي في كتابه (البلدان) وتحت عنوان (من مكة إلى اليمن) فقد ذكر العديد من الأعمال والمخاليف ومن ضمنها جرش[٢٣] وفي فصل مستقل لابن رسته سماه (الأقاليم السبعة، وأسماء مدنها المشهورة)، أورد في الإقليم الأول العديد من المدن في جنوب شبه الجزيرة العربية، وكانت جرش من ضمن المدن المذكورة[٢٤]، وأشار ابن خرداذبة إلى مخاليف مكة المكرمة، فذكر جرش على أنها من المخاليف التابعة لولاية مكة[٢٥] وأشار الإدريسي إلى كل من نجران وجرش فقال: «هما مدينتان متقاربتان في الكبر وبهما نخل وبهما مدابغ للجلود...»[٢٦] وأشار البكري، وياقوت الحموي، وابن منظور إلى جرش فقالوا: «هو موضع باليمن»[٢٧] ولكن ابن منظور زاد في حديثه قائلا: «... هو من مخاليف اليمن من جهة مكة، ويوجد في الإقليم الأول، وهو مدينة عظيمة وولاية واسعة».[٢٨] وبهذا تعد جرش، وهي قاعدة المخلاف، من أهم المراكز الحضارية

---

(١٨) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦

(١٩) وقبائل عسير الأساسية هي: بنو مغيد، وعلكم، وبنو مالك وربيعة ورفيدة، ولكن في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين توسع مفهوم اسم عسير حتى صار يشمل البلاد الواقعة بين غامد وزهران في الشمال، وظهران الجنوب في الجهة الجنوبية، وللمزيد من التوضيحات عن مسمى عسير قديما وحديثا انظر: علي احمد عيسى عسير، **عسير من ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م ـ ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م** (ابها: نادي ابها الادبي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ٢٣ وما بعدها: غيثان بن علي جريس، **صفحات من تاريخ عسير**، جـ١ (جدة: مطابع البلاد للنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣)، ص ص ٧ـ١٢

(٢٠) انظر **مجلة اطلال**، الصادرة عن إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف بالرياض عدد ٥ (١٤٠١هـ / ١٩٨١)، ص ص ٢٥ ـ ٢٦.

(٢١) تندحة عبارة عن مجموعة قري تغطي مساحة من الوادي الكبير المسمى بالتندحي الذي تنحدر سيوله تجاة الشرق والشمال الشرقي حتى تصب في وادي بيشة، وتربة. بلاد تندحة من اخصب الترب بفضل ما يمنحها واديها من الطمي، وفواكهها ولا سيما الرمان من الذ الفواكه لاعتدال جوها، ومياهها متوافرة قل أن تنضب، ويقطنها من القبائل بعض عشائر قبيلة كود الشهرانية، وتغطي حوالي نصف بلاد تندحة. ثم قبيلة آل الزّلال، وقبيلة آل مستنير، والمزارقة، وبني سامة، وأل عجير، وآل الذئب، وكل هذه القبائل شهرانية ماعدا آل مستنير فمن رفيدة قحطان. مشاهدات الباحث في بلاد قحطان وشهران من (١٠ـ١٣/٥/١٤١٣هـ).

(٢٢) ابن قدامة، **نبذة من كتاب الخراج**، ص ٢٣٤.

(٢٣) اليعقوبي، **البلدان**، ص ص ٣١٧ ـ ٣١٨.

(٢٤) ابن رستة، أبو علي احمد بن عمر، **كتاب الاعلاق النفسية** تحقيق، أم. دي غوي (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩١م)، ص، ٩٦.

(٢٥) ابن خرداذبه، **كتاب المسالك**، ص ١٣٣.

(٢٦) الإدريسي، **نزهة المشتاق**. جـ١، ص ١٤٦.

(٢٧) انظر، البكري، **معجم ما استعجم**، جـ١، ص ٣٧٦· ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، جـ٢، ص ١٢٦· ابن منظور، **لسان العرب**، جـ٢، ص ٢٥٠.

(٢٨) ابن منظور، **لسان العرب**، ص ٢٥٠.

الواقعة شمالي نجران وجنوبي مكة المكرمة. وكان مركز هذا المخلاف هو المنطقة التي تشغلها المدينة العسكرية الآن في خميس مشيط، وما يحيط بها ولكن إذا كان المركز في المنطقة المذكورة باعتبارها المقر السياسي والإداري لولاة الرسول ﷺ ولولاة الخلفاء من بعده، ففي ظننا أن امتداد ذلك المركز كان يشمل أجزاء مختلفة من الجهات المحيطة به، بل ربما امتد نفوذ واليه - والى جرش - إلى نجران جنوباً وبيشة شمالاً وشمال شرق، وإلى تثليث وما حوله شرقا. وإلى قمم جبال السراة المطلة على الأجزاء التهامية غرباً، ولو لم يكن مركز جرش قويا وذو نفوذ واسع لما حظي بواسع الذكر في المصادر الأساسية، وبالتالي طغى الجزء على الكل من منطلق إداري سياسي.

الحياة السياسية في مخلاف جرش

كانت الأوضاع السياسية في مخلاف جرش مثل غيره من الأماكن في الجزيرة العربية، تتحكم فيه الأعراف القبلية والتقاليد والعادات، وكانت بعض القبائل والعشائر تمتهن الغارات وتحترف الغزو. فلما أظهر الله الإسلام، وفد على الرسول ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة، وفد صرد بن عبد الله الأزدي في بضعة عشر رجلا، فأسلم وأسلم رجال الوفد، وأمّره الرسول ﷺ بعد إسلامه على قومه، وأمره بالجهاد بمن معه من المسلمين ضد من جاورهم في جرش من المشركين.(٢٩)

وتشير كتب التاريخ والسير إلى أن جرش كانت مدينة مسورة حصينة فعندما سمع أهل جرش بإسلام صرد، وبما تم بينه وبين الرسول الكريم، سعوا إلى زيادة تحصين مدينتهم، وانضمت إليهم بعض قبائل خثعم المجاورين لهم، لمقاومة صرد بن عبد الله الأزدي الذي عاد مسرعا من المدينة المنورة مصطحبا معه من انضم إلى الإسلام من قومه، وهاجم بهم مدينة جرش، فوجدها في غاية المنعة والتحصين، فحاصرها شهراً كاملاً، ولما أعياه فتحها رأى أن اللجوء إلى الحيلة اجدى من الحصار فقوض خيامه كأنه راحل عنها وهو عازم على الخدعة، وما أن شاهده المحاصرون راحلاً حتى فتحوا باب مدينتهم وخرجوا في اثره ليستأصلوا شأفته فتظاهر أمامهم بالفرار، وعندما أخذوا في مطاردته عطف عليهم في التفافة بارعة ففتك بهم فتكاً ذريعاً(٣٠) وتم له فتحها، وبعد الفتح توجه وفد أهلها إلى الرسول ﷺ لإعلان إسلامهم أمامه، فرحب بهم، وقال عليه السلام: «مرحباً بكم احسن الناس وجوهاً، وأصدقه لقاء، واطيبه، كلاماً، وأعظمهم أمانة، انتم مني وانا منكم» ثم جعل شعارهم مبرورا(٣١)، وامرهم بالعودة إلى ديارهم، بعد أن حمى لهم حمى حول بلدتهم، ويورد محمد حميد الله ذلك الكتاب الذي كتبه الرسول ﷺ في حمي جرش وينص على: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي ﷺ لأهل جرش: أن لهم حماهم الذي أسلموا عليه، فمن رعاه بغير بساط اهله فماله سحت، وأنّ زهير بن الحماطه فإن ابنه الذي كان خثعم، فأمسكوه فإنه عليهم ضامن، وشهد عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان».(٣٢)

واهمية هذا الكتاب أن الرسول ﷺ أقر حمى أهل جرش الذي يحيط بمدينتهم، وذلك بمنحهم حق الرعي والتملك في بلادهم، ووضع القوانين الشرعية التي تنظم العلاقات بين الأفراد في شؤون حياتهم المختلفة في ظل أحكام الشريعة الإسلامية.(٣٣)

---

(٢٩) للمزيد من التفصيلات عن صرد بن عبد الازدي (رضي الله عنه) انظر ابن الاثير، عزالدين علي، **اسد الغابة في معرفة الصحابة** (بيروت: دار أحياء التراث العربي، د.ت)، جـ٣، ص ١٧.

(٣٠) وللمزيد من التفصيل عن محاربة صرد بن عبد الله الازدي لأهل جرش، ثم هزيمتهم، انظر. ابن هشام، **السيرة النبوية**، جـ٤، ص ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤؛ محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى** (بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، جـ١، ص ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨؛ ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد، **زاد المعاد في هدى خير العباد**، تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، جـ٣، ص ص ٦٢٠-٦٢١؛ الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الامم والملوك**، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم (بيروت: دار سويدان، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م)، جـ٣، ص ص ١٣٠ ـ ١٣١.

(٣١) ابن سعد، **الطبقات**، جـ١، ص ٣٣٨.

(٣٢) محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠

(٣٣) ويتضح أن الرسول ﷺ حفظ لأهل جرش حماهم بقوله: «فمن رعاه =

وفي رواية للبلاذري، نقلاً عن الزهري، تذكر أن أهل جرش أسلموا من غير قتال، فأمّرهم رسول الله ﷺ على ما أسلموا عليه، وجعل على كل حالم من أهل الكتاب ديناراً، واشترط عليهم ضيافة المسلمين، وارسل أبا سفيان بن حرب واليه عليهم.[٣٤] وهذه الرواية التي ذكرها البلاذري لا تتفق مع الرواية التي ذكرتها كتب التاريخ والسير الأخرى، فرواية البلاذري تنفي أن أهل جرش اعتنقوا الإسلام بالسيف، في حين أن رواية ابن هشام، وابن سعد، والطبري، وابن القيم الجوزية، وغيرهم تؤكد على حرب صرد بن عبدالله الأزدي لهم حتى دخلوا في الإسلام.[٣٥] ويمكننا القول أن ماورواه البلاذري يتفق إلى حد ما مع ماجاء عند أصحاب المصادر الأخرى، وخاصة أن الرسول ﷺ لم يرسل جيشا معيناً من المدينة المنورة لمحاربة أهل جرش، وإنما تلك الحرب التي دار رحاها في بلاد جرش وماحولها، هي حرب جهاد قادها صرد بن عبد الله لكسر شوكة أعداء الدين الإسلامي في المنطقة.

أما إرسال سفيان بن حرب إلى إمارة جرش، فقد جاءت بعد تولية الرسول ﷺ لصرد بن عبد الله على أهل جرش، مع العلم أن إمارة سفيان كانت مقصورة على جبي الصدقات، بدليل ماذكره الطبري، بأن أبا سفيان كان واليا على الصدقات في تلك الأنحاء المتدة من مخلاف جرش إلى نجران جنوباً، وإلى زبيد ورمع غربا. أما الإمارة العامة على تلك الأجزاء فكانت لخالد بن سعيد بن العاص الذي كُلف بإمارة تلك النواحي في نهاية الحج للسنة العاشرة من الهجرة.[٣٦]

وتذكر بعض كتب السنة نقلا عن ابن عباس أن الرسول ﷺ كتب إلى أهل جرش ينهاهم أن يخلطوا الزبيب بالتمر[٣٧]، وهذا الخبر مفاده أن الرسول ﷺ كان على صلة تامة بأهل جرش، وبمعرفة أخبارهم، الأمر الذي أدى إلى نهيهم بما لا يتفق مع الشريعة والامتناع عن القيام بما يخالفها.

والملاحظ أن بعد موت الرسول ﷺ ومجيء الخليفة أبو بكر الصديق، وما حدث في عهده من أحداث عرفت في مصادر التاريخ بحرب الردة كان لأهل اليمن بما فيهم نجران ومخلاف جرش وماحولها دور في تلك الحروب، لاسيما بعد ظهور الأسود العنسي، الذي ظهر في آواخر عهد الرسول ﷺ والذي ارتد عن الإسلام وادعى النبوة، وبسط سلطانه على الكثير من المناطق، كصنعاء ونجران وجرش وغيرها، وطرد عمال الرسول ﷺ من تلك النواحي، وولى بدلهم ولاة من عنده، فكان من ولاته عمر بن معدي كرب[٣٨]، أحد نوابه على المنطقة الواقعة ما بين نجران وبيشة، التي تعد ضمن مخلاف جرش.[٣٩]

= بغير بساط اهله فماله سحت»، أي فم رعى حمى اهل جرش، فلا ضامن على من اهلكه. وقوله عليه السلام: «وان زهير بن الحماطة...» والمذكور ان ولد زهيرا ارتكب في خثعم أمر أوجب الضمان، فضمنه زهير لهم، فامر الرسول ﷺ بإمساك زهير اخذ بضمانه لجريرة ابنه. انظر، محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق**، ص ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠، وعن الحمى واهميته منذ بداية عصر الإسلام، انظر تفصيلات اكثر صالح احمد العلي «الحمى في القرن الأول الهجري»، **مجلة العرب**، جـ٧ (١٣٨٩هـ/١٩٦٩)، ص ٣ وما بعدها.

(٣٤) انظر: البلاذري، احمد بن يحيى، **فتوح البلدان**، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣)، ص ٧٠.

(٣٥) وللمزيد من التوضيحات، انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، جـ٤، ص ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤؛ ابن سعد، **الطبقات**، جـ١، ص ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨؛ الطبري، **تاريخ الأمم**، جـ٣، ص ص ١٣٠ ـ ١٣١، ابن القيم، **زاد المعاد**، جـ٣، ص ص ٦٢٠ ـ ٦٢١.

(٣٦) الطبري، **تاريخ الأمم**، ص ٢٢٨، ٣١٨، وإمارة صرد بن عبد الله ربما كانت مقصورة على مخلاف جرش، أما سفيان بن حرب فكان عمله فقط جباية الزكاة من مخلاف جرش وماجاوره من المخاليف الاخرى، كذلك سعيد بن العاص كانت له الولاية العامة على جميع النواحي الممتدة من نجران جنوباً إلى مدينة جرش وبيشة شمالاً.

(٣٧) انظر، احمد بن حنبل، **مسند الإمام احمد بن حنبل**، تحقيق ناصر الدين الألباني (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ)، جـ١، ص ٢٢٤.

(٣٨) للمزيد من التفصيلات عن شخصية عمرو بن معدى كرب الزبيدي، انظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، **الشعر والشعراء**، تحقيق حسن تميم ومحمد عبد المنعم العريان (بيروت: دار أحياء العلوم، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢؛ ابن سعد، **الطبقات**، جـ١، ص ٣٢٨؛ البلاذري، **فتوح البلدان**: ص ص ١٢٦ ـ ١٢٧، ٢٧٨.

(٣٩) للمزيد عن ارتداد الأسود العنسي، وعن المناطق التي سيطر عليها اثناء ارتداده، انظر: الطبري، **تاريخ الأمم**، جـ٣، ص ٢٣٠ وما بعدها.

قد منيت الأمة العربية عقب وفاة الرسول ﷺ وتولية أبي بكر الصديق الخلافة، بإضرابات خطيرة، ذلك أن بعض القبائل العربية التفت حول زعمائها الذين ادعوا النبوة، مثل الأسود العنسي المشار إليه وغيره، وبدأ هؤلاء بدعوتهم للتخلص من نفوذ المدينة المنورة، ومن تم اندلع لهيب العصيان في كل مكان، فأخذ الخليفة أبي بكر على عاتقه أن يحارب أهل الردة، فطلب من ولاة مكة المكرمة والطائف مجابهة المرتدين في بلاد تهامة والسراة الواقعة إلى الجنوب من مكة والطائف والممتدة إلى الحواضر الكبرى في اليمن. فأعد عتاب بن أسيد عامل مكة المكرمة، وعثمان بن أبي العاص عامل أبي بكر الصدق في الطائف عدة حملات لمحاربة أولئك المرتدين. وقد وصل بعض تلك الحملات إلى مخلاف جرش، وانضمت إلى المسلمين هناك، ثم اشتبكت مع المرتدين في تلك الديار، وتمكن المسلمون من هزيمة جيش المرتدين وكسر شوكتهم[٤٠]، وفرار أحد قادتهم، حميضة بن النعمان البارقي[٤١] فارتجل عثمان بن أبي ربيعة شعراً في هزيمتهم قائلا:

فضضنا جمعهم والنقع كاب
وقد تعدى على الغدر الفتوق
وأبرق بارق لما التقينا
فعادة خلبا تلك البروق[٤٢]

وفي رواية للطبري، أن جرير بن عبد الله البجلي،[٤٣] كان قد أرسل إلى بلاد السراة واليمن في عهد الرسول ﷺ فذهب مع بعض قومه، ثم عاد إلى المدينة المنورة بعد موت الرسول ﷺ فأمر الخليفة أبي بكر الصديق بالرجوع إلى بلاد السراة ومحاربة المرتدين بها، وعندما جهز الخليفة أبي بكر الجيوش لمحاربة المرتدين أمر المهاجر بن أمية بالتوجه صوب مكة المكرمة والطائف، ثم التحرك جنوبا إلى بلاد السراة حتى اليمن. وفي ارض السراة التقى المهاجر ابن امية بجرير بن عبد الله، وهناك واصل الرجلان سيرهما إلى بلاد مخلاف جرش، وعند منتصف الطريق التقى المهاجر، الذي كانت له قيادة الجيوش، بعبد الرحمن بن أبي العاص، قائد الجيش بأمرة والي الطائف عثمان بن أبي العاص. وانضم لهذه الجيوش أيضا عبد الله بن ثور من تهامة فواصل الجميع سيرهم عبر مخلاف جرش حتى قدموا على بلاد نجران وماوالاها من بلاد اليمن.[٤٤] وبعد معارك كثيرة وصراع طويل تمكن القادة المسلمون من إحراز النصر، وتلى ذلك هزيمة المرتدين واستسلامهم في النهاية الأمر الذي أدى إلى أن صار مخلاف جرش كغيره من بلاد تهامة والسراة جزء من أجزاء الخلافة الإسلامية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق.[٤٥]

والملاحظ أن المصادر الإسلامية المبكرة لا تفصح

(٤٠) وللمزيد من التوضيحات عن حركة المرتدين في شبه الجزيرة العربية عامة، وفي بلاد تهامة والسراة خاصة، انظر. الطبري، **تاريخ الامم**، جـ٣، ص ٢٢٣ وما بعدها: عبد الوهاب النجار، **الخلفاء الراشدون** (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ص ص ٤٦ ـ ٥٦.

(٤١) كان اغلبهم من قبائل الازد وبجيلة وخثعم، ولكن بعد هزيمة حميضة ومن ارتد معه، ثم تفريق جمعهم، عاد بعضهم إلى الإسلام، وفيما يظهر أن حميضة نفسه عاد إلى الإسلام، حيث نرى أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب بعثه مع سعد بن أبي وقاص إلى العراق لمحاربة الفرس. انظر: الطبري، **تاريخ الامم**، جـ٣، ص ٤٨٤.

(٤٢) الطبري، **تاريخ الامم**، جـ٣، ص ٣٢٠.

(٤٣) لمزيد من التوضيحات عن جرير بن عبد الله البجلي، موطنه الاصلي، ثم مساهماته في الدعوة الإسلامية، انظر. الطبري، **تاريخ الامم**، جـ٣، ص ٣٦٥، ٣٦٩: ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج، **صفة الصفوة**، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب دار الوعي للنشر، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، جـ١، ص ص ٧٤٠ ـ ٧٤٢: ابن الاثير، **اسد الغابة**، جـ١، ص ص ٢٧٩ ـ ٢٨١.

(٤٤) انظر، الطبري، **تاريخ الامم**، جـ٣، ص ص ٣٢٢، ٣٢٦ ـ ٣٢٨.

(٤٥) وللمزيد من الاطلاع على دراسات مهمة تتعلق بتاريخ البلاد الواقعة إلى جنوبي مكة المكرمة والطائف (تهامة وسراة) والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى، وخاصة في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، انظر. محمد بن احمد العقيلي، **تاريخ المخلاف السليماني** (الرياض. منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، جـ١، ص ٧١ وما بعدها؛ وللمؤلف نفسه، **التاريخ الادبي لمنطقة جازان** (جازان نادي جازان الادبي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، جـ١، ص ٢٥ وما بعدها: احمد ابن عمر الزيلعي، **الاوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامية الوسيطة** (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص ٢٥ وما بعدها، وللمؤلف نفسه، «المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي (ق٣ ـ ٩هـ/ ٩ـ١٥م)، **حوليات كلية الآداب**، جامعة =

عن الأحداث التي وقعت في المخلاف وإنما تشير إلى بعض الوقـائع التي حدثت في بعض أجزائه، ولكن إشارتها غير دقيقة إلى حد ما، لا في تسمية الأماكن ولا في دور الحواضر بشكل مفصل، الأمر الذي لا يرو ظمـأ القـاريء في معـرفـة الأوضـاع السيـاسيـة والحضارية لهذا الأجزاء من المخلاف، وهو بدوره لا يشكـل إلا جزءا محـدودا من المنطقـة الجغرافية الواسعة والتي أطلق عليها بلاد السراة. وفي اعتقادي أن مخلاف جرش لم يتغير في وضعه السياسي خلال القرنين الأوليين لاسيما بعد الانتهاء من حرب الردة، ثم صار من الأجـزاء التابعة للخلافة الإسلامية في المـدينة المنورة، إذ عين الخليفة ابي بكر عليه والي ينـظم شؤون الناس،[٤٦] ولكن بعد انتقال الخلافة الإسلامية إلى دمشق أيام الأمويين، ثم انتقالها إلى بغداد أيام العباسيين، صار اهتمام الخليفة سواء في دمشق أو بغداد، أن يولي أمراء من قبله على المدن الكبرى في شبه الجزيرة العربية، كمكة المكرمة، أو المدينة، وربما جمعت المدينتين تحت إمرة والٍ واحد، واحيانا جمع اليمامة والحجاز واليمن تحت إمرة والٍ من ولاة الخليفة تكون إقامته في مكة المكرمة أو المدينة المنورة، يشرف على الجباة ومراقبة الأسواق، وحماية البضائع من السرقة، وماعدا ذلك من الأعمال المتعلقة بشؤون جرش ومخلافها تترك لزعماء القبائل الذين يعـدون المسـؤولون ـ عرفيـا ـ عن إدارة البـلاد وتنظـيم أمورهـــا.[٤٧]

ومنذ بداية القرن الثالث الهجري، بدأ الضعف يدب في جسم الخـلافـة العبـاسية، وبخاصة بعد الحـرب الاهليـة التي وقعت بين الأخـوين الأمـين والمأمون منذ عام (١٩٣ ـ ١٩٨هـ) الأمر الذي أدى إلى ظهور الخارجين والثائرين على الخلافة في أجزاء

= **الكويت**، الحولية السابعة (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص ١١ وما بعـدهـا؛ وللمـؤلف نفسـه «الأشراف الغـوانم، أمراء المخلاف السليمـاني وعـلاقته ببني رسول اليمن (٦٢٨هـ ـ ١٢٣٠م/ ٨٠٣هـ ـ ١٤٠١م) **مجلة العصور**، دار المريخ، لندن مجـ٦، جـ٢ (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص ص ٢٣١ ـ ٢٦٤؛ غيثـان على جريس «بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط» **مجلة العرب**، الرياض، جـ٩،١٠ س ٢٧ (الربيعان، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص ص ٦٠٧ ـ ٦٢٣؛ وللمؤلف نفسه. «بلاد السراة من خلال كتاب صفـة جزيـرة العـرب للهمداني» سوف ينشر في **مجلة الدارة**، الرياض، (عدد ربيع ثاني والجمادان ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

(٤٦) تشـير بعض المصادر إلى أن يعلي بن منبه كان والياً على بلاد اليمن اثناء خلافة ابي بكر الصديق، لكنها لم تشر إلى الحدود التي شملتها هذه الولاية، إلّا أن من المؤكد وطبقا لرواية بعض المصـادر، فإنهـا المنطقة الممتدة جنوبي مكة المكرمة والطائف، والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى ـ وبهذا ـ فمخلاف جرش يأتي ضمن تلك الأجزاء المذكورة، وربما كانت ليعلي بن منبه الولاية العـامة لتلك المناطق المشار اليها، ومن الجائز انه كان يستعين ببعض الموظفين والعمال وشيوخ القبائل الخاضعة ضمن إطار نفوذه الجغرافي في المنطقة. (وللمزيد من التفصيل عن الإدارة في الدولة الإسـلامية، وإدارة الجزيرة العربية ونواحيها المختلفة، انظر: حسام الدين السامرائي. **المؤسسات الإدارية في الدولة العبـاسيـة خلال الفتـرة ٢٤٧ ـ ٣٣٤هـ/ ٨٦١ ـ ٩٤٥م** (دمشق: دار الفتح، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م)، ص ٢٠ وما بعدها؛ صالح أحمد العلي. «إدارة خراسان في العهود الإسلامية الاولى» **مجلة كلية الآداب**، بغداد، عدد ١٥ (١٩٧٢م)، ص ص ٣١١ ـ ٣٤٢. وللمـؤلف نفسه «إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الاولى» **مجلة الابحاث**، سنة٢١، مج، ١ ـ ٤ (١٩٦٨م) ص ص ٣ ـ ٥٧؛ Jacob Lassner, "Provincial administration under the Early Abbasid: The Ruling Family and the Amsir of Iraq" *Studia Islamic*, Vol. 50 (1979), pp. 21-35; J. Lassner," Provincial Administration under the Early Abbasid: Abu-Jafar al-mansur and the Governore of the Haramayn", *Studia Islamica*, Vol. 49 (1979), pp. 39-54; S.B.Samadi, "Some Aspects of the Theory of the State and administration under the Abbasids" *Islamic Culture*, Vol. XXIX, No.2 (1955), pp.120-150; Hugh Kennedy, "Central Government and Provincial Elites in the Early Abbasid Caliphate, *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, vol. XLIV, 1981, pp. 26 - 38; Ghithan.A. Jrais, ""The Governorship in the Hijaz During The Early Abbasid Period (132-232 A.H.1 749-846), *Ages*, Vol. 7, Part. 1 (1992).

(٤٧) وبعـد عصر الخلفاء الراشدين، وفي زمن الامويين والعباسيين، بعـد انتقـال مركز الخلافة إلى دمشق وبغداد، اشتغل الخلفاء باستقطاب القلوب وتأليف النافرين، ولم يعط خلفاء تلك العصور الجـزيرة العربية الاهمية التي كانت عليها في ايام الرسـول ﷺ وزمن الخلفـاء الراشـدين، رغم انهم أولوا اهتمامهم بالحرمين الشريفـين لمكانتهما المقدسة، بل انصب جل اهتمامهم بمناطق اخرى لها ظروفها المختلفة التي تستدعي ذلك الاهتمام، كالعراق وفارس، وبلاد الشام ومصر والمغرب والاندلس وإفريقيا. أم البلاد الممتدة من الحجاز جنوباً إلى بلاد جرش فقط انيط امر الاهتمام بها إلى عمال مكة المكرمة (شكلياً)، وترك امر إدارتها الداخلية لاهلها شأنها شأن كثير من مناطق شبه الجزيرة العربية. انظر: صالح أحمد العلي، «إدارة الحجاز...»، ص ١٠ ومابعدها؛ غيثان علي جريس، «مـواقف خلفـاء بني العبـاس الخـيرية تجاه أهل الحجاز (١٣٢ ـ ٢٣٢هـ)»، **مجلة المنهل**، العدد ٤٩٧، مج ٥٤، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ص ص ٨٢ ـ ٨٨. وللمزيد من تفصيلات اكثر، انظر، المراجع الواردة في الحاشية (٤٦).

عديدة من البلاد، فقام أهل جرش وأعلنوا انفصالهم عن ولاية الحجاز، وقام أمير من الحراميين في حلي بن يعقوب بتهامة[٤٨]، واستقل ابن طرف بمخلاف حكم[٤٩]، وقامت فتنة في بلاد عك والأشاعرة في بعض الأجزاء من تهامة.[٥٠] وما ان انتهي الخليفة المأمون من أمر أخيه، إلّا والكثير من أجزاء مخاليف جرش، ونجران، واليمن وبعض الأجزاء التهامية قد أعلنت ثورتها واستقلالها عن الخلافة، وعندئذ التفت في جدية لتلك المناطق الجنوبية، فبعث محمد بن زيادة إلى حرب الأشاعرة، والعكيين في تهامة، وكانوا أكثر الأطراف خطورة تجاه الخلافة في تلك البلاد، وقال له: اسمعني صوتهم، أي يقاتلهم بقوة لاهوادة فيها، فوصل ابن زيادة مزودا بالمال والرجال وأهل الرأي، وتمكن من إخماد الأشاعرة وغيرهم، بل والتنكيل بهم.[٥١]

وتفرغ لسكان الجبال والمناطق التي أعلنت انفصالها عن الولايات التابعة لها، كبلاد جرش، ونجران، وبيشة وماحولها، فاستعمل الترغيب والترهيب ودعوة المنشقين إلى الوحدة، وعدم الخروج عن الجماعة، والرجوع إلى طاعة الخليفة وتعهد بإرجاع كل منهم إلى إمارته، فوافقوا وعادوا إلى الولاء ثانية، وقاموا بإرسال الخراج، ولكن هذا الأمر لم يستمر، فبعد موت محمد بن زيادة، جاء من بعده أمراء ضعاف فلم يستطيعوا إحكام القبضة على البلاد التي كانت في حوزة الدولة الزيادية، فقام كل أمير يستقل بناحيته، أما مخلاف جرش وبلاد السراة المتدة من شمالي نجران حتى الطائف فقد بقيت شكليا أو اسميا مرتبطة بعامل الحجاز كما كانت سابقاً.[٥٢]

وبعد القرن الثالث الهجري لانجد ما يوضح لنا تاريخ جرش ومخلافها، وإنما بعض المصادر أشارت إلى أحداث سياسية حدثت في بلاد اليمن أو بلاد تهامة أو السراة، الواقعة إلى الجنوب من مدينتي الطائف ومكة المكرمة، والتي اكتسبت صبغة العمومية، وأحيانا نجد فيها شذرات تشير إلى تاريخ المدن الكبرى مثل: زبيد، وصعدة، وصنعاء، وهذه المسميات لا تعطينا مانريده من تاريخ جرش، ولا تبين لنا مدى مشاركة أهلها في المضمار الحضاري للحواضر السابقة الذكر. والذي يبدو أن كتب الجغرافيا والرحلات تذكر جرش عندما تذكر الطريق المار بشرقها والواصل بين حواضر اليمن والحجاز.

ومن الجغرافيين الذين ربطوا ذكر جرش بذكر الطريق، ابن خرداذبة، ابن قدامة، والحربي، والهمداني، خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، ثم الإدريسي وابن المجاور، وياقوت الحموي، في القرنين السادس والسابع الهجريين، وبعد القرن السابع لم نعد نستطيع العثور على ذكر لهما فيما توافر لدينا من مصادر، ولا ندري، هل يعود عدم ذكرها إلى اندثارها، وبالتالي لم يصبح لها دور في التجارة مثلما كان لها من قبل، ومنذ ذلك الوقت للآن، لم يعد لها الازدهار الذي كانت عليه، ولم تعد تعرف بمسماها السابق، وإنما تحولت إلى مسميات أخرى، فصارت جزء من

---

(٤٨) لمزيد من التفصيل عن مدينة حلي بن يعقوب في تهامة، ومن استوطنها خلال القرون الإسلامية المبكرة، انظر: الزيلعي «المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي.....»، ص ١١ وما بعدها؛ العقيلي، **تاريخ المخلاف**، جـ١، ص ٦٧ وما بعدها؛ عاتق ابن غيث البلادي، **بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات)** (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ص ١٧٦ ـ ١٧٧، ٢٠٠.

(٤٩) سليمان بن طرف هو الحكمي، من آل عبد الجد المشهورين بزعامة المخلاف السليماني منذ ظهور الإسلام، ومنهم عبد الجد الوافد على الرسول ﷺ والذي أفرشه رداءه، وقد سمي المخلاف باسم سليمان بن طرف الحكمي، ولا يزال يحمل المخلاف هذا الاسم إلى هذا الوقت. لمزيد من التفصيل، انظر: العقيلي، **تاريخ المخلاف السليماني**، جـ١، ص ٧١ ومابعدها؛ الزيلعي، **الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان**، ص ١٢ وما بعدها.

(٥٠) بلاد عك والأشاعرة في الأجزاء التهامية، ويذكر انها كانت من مخاليف مكة، وللمزيد من التوضيح انظر: الطبري، **تاريخ الأمم**، جـ٣، ص ص ٣٢٠ ـ ٣٢١؛ البكري، **معجم ما استعجم**، مج٢، جـ٣، ص ٩٦٢.

(٥١) ولمزيد من التوضيح عن دولة بني زيادة ومدى نفوذها ومواجهاتها للفتن والثورات التي قامت في بلاد اليمن، انظر: عبد الواسع يحيى الواسعي، **تاريخ اليمن، المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن** (صنعاء: الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ١٦٠ ومابعدها؛ العقيلي، **التاريخ الأدبي لمنطقة جازان**، جـ١، ص ص ١٧ ـ ٢٠.

(٥٢) انظر، الواسعي، **تاريخ اليمن**، ص ١٦٠؛ العقيلي، **التاريخ الأدبي لمنطقة جازان**، ص ص ١٧ ـ ٢٠.

إقليم عسير الممتد من ظهران الجنوب جنوباً إلى بلاد خثعم وشمران شمالاً، وحل محل مركزها القديم مسميات حديثة تأتي ضمن مدينتي خميس مشيط وأحد رفيده وماحولهما.

الجوانب الحضارية في جرش ومخلافها

من الطبيعي أن تحظى جرش ومخلافها بنشاطات مهنية متعددة، كالرعي والزراعة، والصناعات، والحرف اليدوية، والتجارية، والازدهار العمراني، وذلك يعود إلى خصوبة تربتها وحسن موقعها. فمخلاف جرش يتمتع بطبيعته الجغرافية التي تتكون من الجبال والوهاد والوديان، والهضاب والسهول إلى جانب طبيعته الاجتماعية التي تضم العديد من العشائر والأفخاذ الأزدية التي يحترف بعضها مهنة الرعي التي كانت من الملامح المميزة لأهل جرش بسبب مما جعلها المهنة الرئيسة بجانب الزراعة وبعض الحرف اليدوية الأخرى. واقرب دليل على بروز هذه المهن في حياتهم ماذكره الرسول ﷺ في كتابه الموجه إليهم، والذي حمى لهم حماهم الذي اسلموا عليه، والحمى لا يوجد إلّا إذا وجدت المواشي والبهائم التي ترعى فيه[٥٣]، ويؤكد بعض الجغرافيين على كثرة الأدم ودباغة الجلود في مخلاف جرش[٥٤]، وهذا دليل على كثرة المواشي والبهائم في ربوعها، فإلى جانب ما يستفاد منها في قضاء حاجات الإنسان وتوفير غذائه، تستخدم جلودها كألبسة وفراش بعد دباغتها، وقد يصدّر منها ما يفيض عن الحاجة إلى المناطق المجاورة لها.

أما الحياة الزراعية، فمخلاف جرش نال نصيبا من الزراعة، ومما يؤكد ذلك قول بعض المؤلفين الأوائل الذين أشاروا إلى استخدام النوق الجرشية في رفع المياه من الآبار لسقي المزارع بوساطة السواني، وفي هذا يقول ابن أبي خازم:

تحدر ماء البئر عن جرشية
على جربة تعلو الدبار غروبها[٥٥]

ولم تكن الجمال فقط التي تستخدم في ري المزارع عن طريق السواني بل استخدمت الأبقار لنفس الغرض، كما استخدمت القنوات التي تعد خصيصا لماء المطر لري بعض المزارع العثرية.[٥٦]

ومن المنتجات الزراعية التي كان يشتهر بها مخلاف جرش، هي الحبوب كالقمح والشعير والذرة، وقد يفيض الإنتاج عن الحاجة فيصدّر إلى حواضر الحجاز واليمن.[٥٧] اما منتجات المخلاف من الثمار، فتتمثل في الزبيب والتمر والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ نهى أهل جرش من خلط الزبيب بالتمر.[٥٨] ويعد العنب الجرشي من أجود أصناف العنب، وقد أثني على جودته المؤلفون الأوائل، أمثال: الأصمعي في كتابه (النخل والكرم) أثناء حديثه عن أصناف العنب فقال: «فأما الجرشي فأبيض صغار الحب أول العنب إدراكا»[٥٩]، ويشير صاحب كتاب لسان العرب، إلى العنب الجرشي فيقول: «ضرب من العنب أبيض إلى الخضرة، رقيق صغير الحبة»[٦٠]، ويتفق البكري والإدريسي مع ابن منظور والأصمعي على جودة عنب جرش[٦١] ويشير الدينوري، في كتاب (النبات) إلى

---

(٥٣) انظر: محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق**، ص ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠: انظر: صالح العلي «الحمى....»، ص ٣ ومابعدها.

(٥٤) جمال الدين ابو الفتح يوسف بن المجاور، **تاريخ المستبصر**، تحقيق اوسكر لوفغرين (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٥١م)، جـ١، ص ١٣، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، جـ٢، ص ١٢٦.

(٥٥) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، جـ٢، ص ١٢٦؛ ابن منظور، **لسان العرب**، جـ٢، ص ٢٥٠. ويلاحظ ان النوق ما زالت تستخدم في عصر السمسم في تهامة بلاد عسير إلى وقتنا الحالي.

(٥٦) العثرية المناطق الزراعية التي تعتمد في سقيها على الأمطار.

(٥٧) وللمزيد من التفصيلات عن صادرات بلاد السراة، بما فيها مخلاف جرش، انظر الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص ٢٥٥ وما بعدها؛ محمد بن احمد بن جبير، **رحلة ابن جبير** (بيروت: دار الكتاب اللبناني، د.ت)، ص ص ١٠٢ ـ ١٠٥؛ غيثان علي جريش «بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط»، ص ص ٦٠٧ ـ ٦٢٣.

(٥٨) احمد بن حنبل، **المسند**، جـ١، ص ٢٢٤، محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق**، ص ٢٩٠.

(٥٩) انظر: الأصمعي عبد الملك بن قريب، **كتاب النخل والكروم**، نشره الأب لويس شيخو اليسوعي (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩١٤م)، ص ٧٥.

(٦٠) ابن منظور، **لسان العرب**، ص ٢٥٠؛ جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٠)، جـ٧، ص ٧٣.

(٦١) البكري، **معجم ما استعجم**، جـ١، ص ٢٧٦، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، جـ١، ص ١٠٦

جودة عنب مخلاف جرش، وإلى طول عناقيده[٦٢]، وفي أجزاء عديدة من مخلاف جرش يوجد القرظ، الذي يساعد كثيرا في عملية دباغة الجلود، ويذكر عماد الدين أبي الفداء، ما نصه: «وجرش بلدة صالحة وحولها من شجر القرظ مالا يحصى»[٦٣] ويشير الإدريسي إلى كثرة زراعة النخيل في بلاد جرش.[٦٤]

أما المهن والحرف الصناعية بمخلاف جرش، فهي بدون شك متعددة، ولكن ماحفظته لنا المصادر المبكرة لا يتجاوز إلا عدداً محدوداً من الصناعات، وكتاب الرسول ﷺ إليهم في عدم خلط الزبيب مع التمر يدل على أنهم كانوا يجمعون هذين النوعين ثم يعصرونها مع بعض فيخرج لهم شراب النبيذ، أو نوع من أنواع الخمور، ولهذا فالرسول ﷺ نهاهم عن تلك المهنة.[٦٥]

والثابت أيضا أن دباغة الجلود وخرازتها في جرش، ازدهرت ازدهاراً عظيماً، فأشار أبو الفداء وابن المجاور إلى ذلك.[٦٦] وساعدت عوامل كثيرة في ازدهار هذه الصناعة في تلك البلاد وماحولها، وذلك من حيث توافر المواد الخام المتمثلة في جلود المواشي، ومواد التصنيع، بالإضافة إلى وفرة أشجار القرظ الذي يعد من أفضل المواد التي تستخدم في الدباغة. هذا وتمتع المنطقة بعوامل أخرى تساعد على جودة هذه الصناعة، فالشمس الساطعة، وطيب الهواء، وأشجار القرظ كما سبق القول، تساعد على ممارسة مهنة الدباغة ثم التجفيف والتسويق إلى الحواضر المجاورة.[٦٧] وهذه الجودة التي تمتعت بها هذه الصناعة، ساعدت على شهرتها التي تجاوزت حدود شبه الجزيرة العربية، حتى صار هذا النوع الجيد، والمعروف باسم (آدم جرش) في الأسواق الخارجية مثل أسواق العراق وفارس وبلاد الشام وغيرها.[٦٨]

ومن الصناعات الحربية التي اشتهر بها المخلاف صناعة الدبابات، والمجانيق، والعرادات. والدبابات التي كانوا يصنعونها وهي عبارة عن آلة من مادة الخشب مغطاة بجلود البقر يدخل فيها الرجال، ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه، وهي تقيهم مما يرمي عليهم من حجارة.[٦٩] أما المجانيق والعرادات فهي من آلات الحصار التي ترمي بوساطتها الحجارة الثقيلة على الأسوار.[٧٠]

ويذكر أن الأغنياء من أهل مكة المكرمة والطائف وغيرهم من حواضر شبه الجزيرة العربية كانوا يذهبون إلى بلاد جرش ليتعلموا بعض الصناعات الحربية قصد حماية انفسهم وأموالهم، وممن ذهب إلى هناك أيام الرسول ﷺ عروة بن مسعود الثقفي، وغيلان بن سلمة اللذان سار إلى جرش وأقاما فيها يتعلمان صناعة العرادات والدبابات أثناء محاصرة الرسول ﷺ لمدينة الطائف.[٧١] وهذه الرواية وغيرها من الروايات تؤكد ماكانت تحتله جرش من مكانة مهنية، خاصة في المهن الحربية.

---

(٦٢) احمد بن داود الدينوري. **كتاب النبات**، القسم الثاني من القاموس النباتي، جمع محمد حميد الله (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار، ١٩٧٣م)، ص ص ١٥٤ ـ ٢٣٩، ٢٤٥: انظر ايضا: **اللسان** لابن منظور، جـ٢، ص ٢٥٠. وقد يلاحظ المشاهد في بلاد عسير في وقتنا الحالي كثرة إنتاج العنب والفواكه والخضروات المتنوعة في أجزاء عديدة من المنطقة.

(٦٣) عماد الدين إسماعيل ابو الفداء، **كتاب تقويم البلدان** (باريس: دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م)، ص ٩٥.

(٦٤) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، جـ١، ص ١٤٦.

(٦٥) محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق**، ص ٢٩٠.

(٦٦) ابو الفداء، **تقويم البلدان**، ص ٩٥: ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، جـ١، ص ١٣.

(٦٧) للمزيد من التوضيحات عن طريقة دباغة الجلود، والظروف المساعدة لمهنة الدباغة، انظر: أحمد بن داود الدينوري، **كتاب النبات**، الجزء الثالث، والنصف الأول من الجزء الخامس، تحقيق، بي لوين (فيسبادن: د.ن، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ص ص ١٠٤ ـ ١٢١: احمد فاروق، «دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهل الإسلام»، **مجلة العرب**، جـ٨،٧ (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، ص ص ٥٣٨ ـ ٥٥٥: احمد عمر الزيلعي، **مكة وعلاقاتها الخارجية** (٣٠١ ـ ٤٨٧هـ) (الرياض: عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ص ١٨٩ ـ ١٩١.

(٦٨) انظر، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، جـ٢، ص ١٢٦: جواد علي، **المفصل**، جـ٧، ص ٥٨٧: الزيلعي، **مكة وعلاقاتها الخارجية**، ص ص ١٨٩ ـ ١٩١.

(٦٩) ابن منظور، **لسان العرب**، جـ٤، ص ٢٧٧.

(٧٠) ابن منظور، **لسان العرب**، جـ٩، ص ١٢٣.

(٧١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، جـ٤، ص ١٢١، الطبري، **تاريخ الأمم**، جـ٣، ص ص ٨١ ـ ٨٢.

أما الحياة التجارية فلم تكن أقل من غيرها من الأعمال الأخرى، ولولا نشاطها التجاري لما راجت فيها الصناعات ذات الإنتاج الحيواني، والمنتجات والمحاصيل الزراعية التي كانت تفيض عن الحاجة، وتصدر إلى أسواق الحواضر الكبرى في الحجاز واليمن. ومما زاد في النشاط التجاري لمخلاف جرش هو قربه من الطريق التجاري الذي كان يأتي من صنعاء ماراً بشرق مخلاف جرش، حتى بيشة ثم الطائف ثم مكة المكرمة[٧٢] (أنظر الخريطة رقم ٢) ومن المؤكد أن القوافل التجارية كانت تعرج على مخلاف جرش طلباً للراحة والتزود من سلعها، كالمحاصيل والعنب، وبعض الصناعات الجلدية، وبعض المواشي كالإبل وغيرها، وهذه السلع جميعها متوافرة في أسواق جرش ومخلافها.

وغالبية سكان جرش من القبائل اليمانية، إلى جانب وجود بعض العشائر والبطون الشامية، وفي إشارة للهمداني ما يوضح ذلك، فيقول: «... وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدوعن الجزارين من موالي قريش»[٧٣]، وهذا القول يشير إلى أن بعض العشائر الشامية، أو من يواليها، كان يعيش مع السواد الأعظم من القبائل اليمانية في تلك البلاد. بل وأن بعضهم كان من موالي قريش، وليس ببعيد أن تكون من بينهم طبقة من العبيد تمتهن الحرف والصناعات، كعمل الدبابات والعرادات وغيرها، لأنه من المألوف في المهن والحرف الصناعية أن يتداولها مثل هؤلاء.[٧٤] وكان في بلاد جرش بعض اليهود والنصارى، بدليل ماذكره البلاذري عن الرسول ﷺ أنه أمّر أهل جرش على ديارهم، وفرض على كل فرد من أهل الكتاب ممّن بها ديناراً[٧٥]، وهذا الخبر يبين أن بعض من اليهود والنصارى كان يعيش مع العرب في مخلاف جرش.

أما عن العادات والتقاليد والأعراف عند أهل جرش، فلم نستطيع الحصول على ما يصور لنا هذه الحياة ولكن أغلب الظن، بعد دخولهم في الإسلام، وإرسال الولاة إليه من قبل الرسول الكريم، ثم الخلفاء الراشدين من بعده، أن عاداتهم، وأعيادهم، وولائمهم، وأعراسهم، وبقية حفلاتهم وموائدهم صارت تمارس طبقاً لمنهج الدين الإسلامي.[٧٦]

أما العمارة عندهم فأصبحت تتماشى مع تعاليم الإسلام، وكانت مادة البناء هي الحجارة والطين، وبعضهم كان يعمل على تسوير البيوت، وتسوير المدن والقرى بأسوار تنتهي ببوابات واسعة، ومثال ذلك أسوار مدينة جرش، التي وقفت أمام هجمات عبد الله ابن صرد الأزدي وصحبه عند قدومه لفتحها، أما عن البيوت هل تبنى من طابق أو أكثر، وعن مدى مايتمتع به البناؤون من المهارة في البناء، فلم نعثر على شيء من هذا في المصادر التي بين أيدينا، ولكن يمكننا القول أنهم طالما برعوا في الصناعات الحربية، وبعض المهن الحرفية الأخرى، فليس بمستبعد أن يكون لديهم بعض الخبرات في البناء بما يتناسب

---

(٧٢) لمزيد من المعرفة عن محطات الطريق التجاري الذي يربط الحجاز باليمن، ويأتي من شرقي بلاد جرش، انظر: ابن خرداذبة، **المسالك**، ص ص ١٣٤ ـ ١٣٦؛ ابن قدامة، **نبذة من كتاب الخراج**، ص ص ١٨٧ ـ ١٩٠، الادريسي، **نزهة المشتاق**، جـ١، ص ص ١٤٤ ـ ١٤٩.

(٧٣) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص ٢٥٥.

(٧٤) كان العرب ولايزال بعضهم ينظر إلى المهن والحرف الصناعية (كالحدادة، والصياغة، والنجارة وغيرها) نظرة ازدراء، ثم أن السواد الأعظم من العاملين فيها كانوا من الموالي والعبيد، أو من اليهود والنصارى. وللمزيد من التفصيلات عن وضع الحرف عند العرب وللمسلمين خلال العصور المختلفة، انظر: جواد علي، **المفصل**، جـ٧، ص ٥٤٣ وما بعدها، عبد العزيز إبراهيم العُمري، **الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم** (الدوحة: مركز التراث الشعبي، ١٩٨٥م)، ص ص ٤٢ ـ ٤٦؛ غيثان علي جريس «أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة»، **مجلة المنهل**، العدد ٤٩٢، مج٥٣ (١٤١٢هـ/ ١٩٩١)، ص ص ٨٢ ـ ٩٦.

(٧٥) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٧٠.

(٧٦) وللمزيد من التفصيلات عن بعض النواحي الاجتماعية في البعض من أجزاء العالم الإسلامي خلال العهود الإسلامية الأولى، انظر: عبد الله محمد السيف، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في عصر الأموي** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

M.M.Ahsan, *Social Life under the Abbasids* (London: Longman, 1979); G.A. Jrois, *The Social Industrial, and Commercial History of the Hejaz under the Early Abbasids (132 - 232A. H/749 - 847 A.D)*, Unpublished ph. D. Thesis, University of Manchester, England (1989).

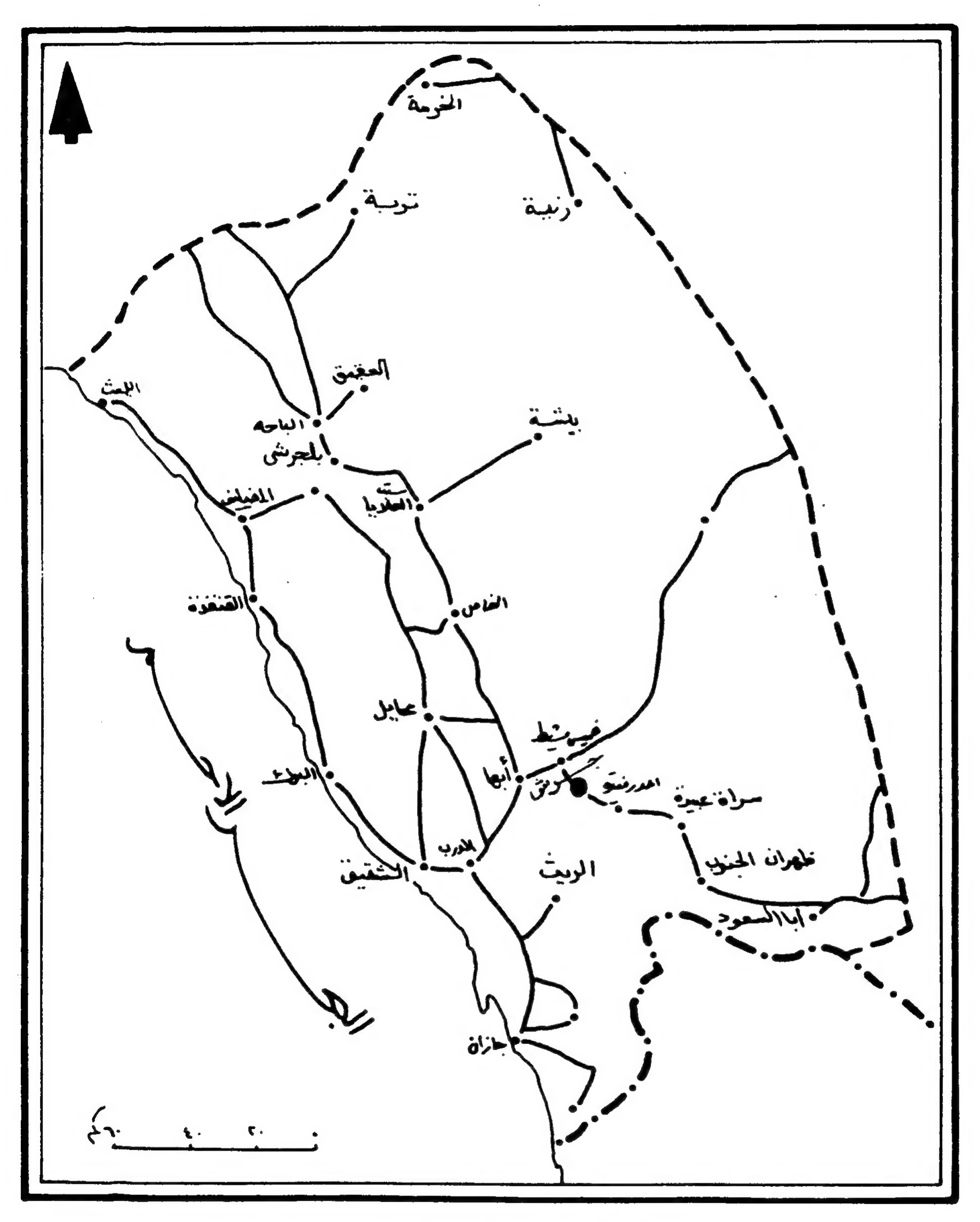
ومعارف الحال آنذاك.

وخلاصة القول، أن مخلاف جرش قد عرف منذ الفترة السابقة للإسلام، وبعد أن أسلم أهله، تحول من أرض مشركة إلى أرض إسلامية، يشع منها نور الإسلام، ويعمل سكانها على تطبيق الشريعة، وبعد موت الرسول ﷺ حدثت بعض الأمور في شبه الجزيرة العربية، أهمها حرب الردة، التي عمت أصقاع شبه الجزيرة ومن ضمنها مخلاف جرش، الذي أصابه أذى الارتداد بقيادة الأسود العنسي، وظهر به بعض المرتدين ممن اشتركوا في حرب الردة مع العنسي، لكن الله حفظ دينه، لقوله جلّ جلاله وهو أصدق القائلين ﴿ إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾

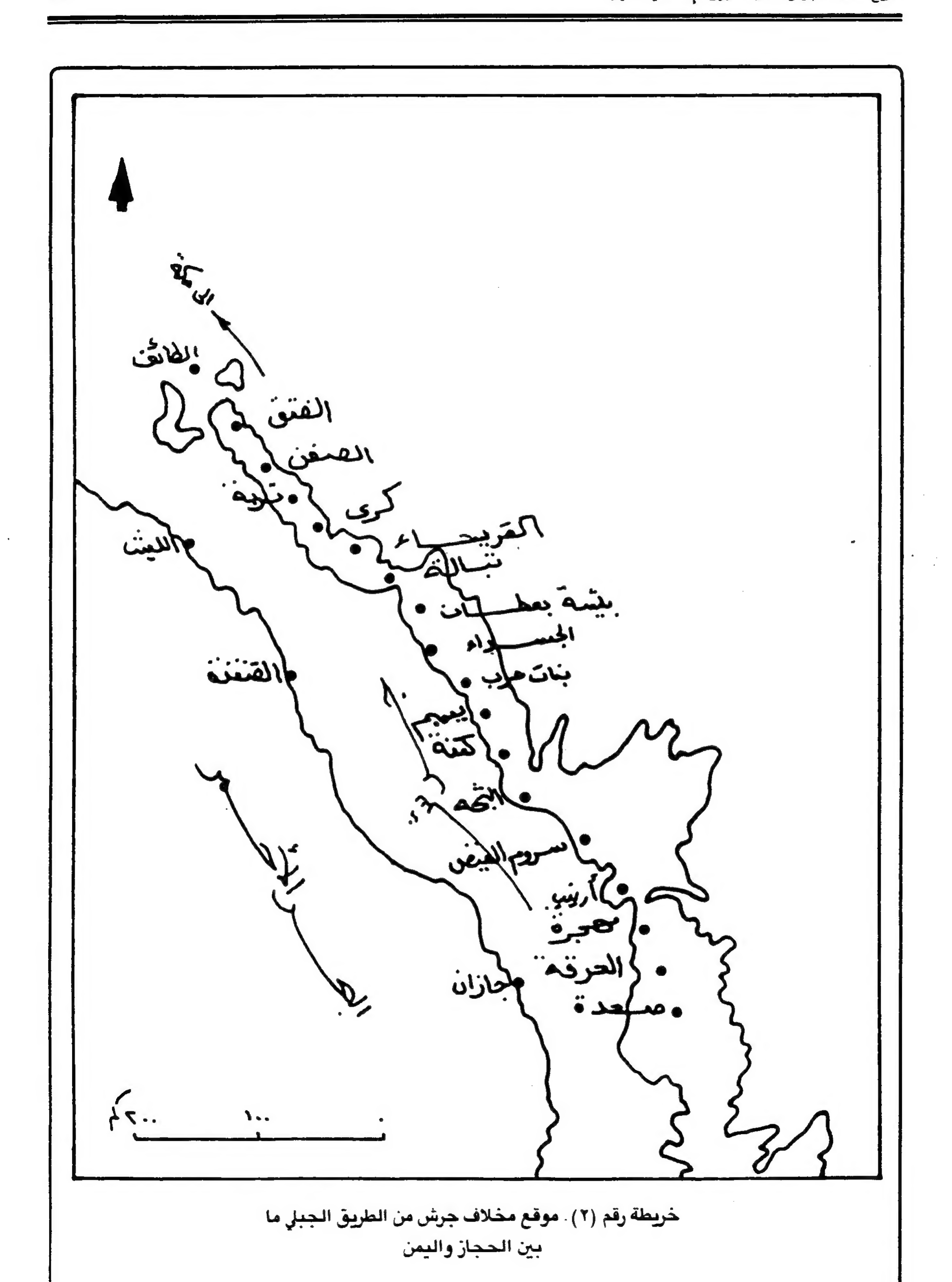
لقد قام صحابة رسول الله ﷺ يتقدمهم الخليفة أبو بكر في محاربة المرتدين، وإجبارهم على العودة للإسلام، وأصبحت الجزيرة بعد الانتهاء من حرب الردة تدين كلها بدين الله، وأصبح مخلاف جرش من الأعمال التابعة لدار الخلافة في المدينة المنورة، ثم دمشق، وبعدها في بغداد، لكن لم يخل الأمر من ظهور بعض الفتن، وكان روادها يودون الاستيلاء على الحكم، سواء في مخلاف جرش أو غيره، لكن دار الخلافة كانت لهم بالمرصاد.

إن مخلاف جرش منذ أواخر القرن الثالث الهجري، وبداية القرن الرابع، لم نعد نجد لها في بطون المصادر المبكرة إلا إشارات بسيطة، وبخاصة عند ذكر الطريق الذي يربط اليمن مع الحجاز عبر الأجزاء الشرقية من بلاد السراة، والأغرب من ذلك أنه لم يعد له ذكر بعد القرن السابع الهجري، ولم يصلنا شيء عنه منذ بداية القرن الثامن، واندثرت مدينة جرش وأصبحت كما يقال أثر بعد عين.

وكون مخلاف جرش عاصر الأزمنة الأولى من دولة الإسلام بما فيها من أحداث تاريخية، وممارسات حضارية، خاصة الصناعية والتجارية منها بسبب أهمية موقعه ما بين الحجاز واليمن، لهذا وجب علينا أن نبذل ما في وسعنا في البحث عن معالم هذا المخلاف، وهذا العمل يقع على كاهل الأثريين والمؤرخين في الدرجة الأولى، لأن الكشف عن الصور الحضارية في هذه المنطقة مفخرة لأبناء الجزيرة خاصة، وللمسلمين عامة، لذا أرجو من إخواننا المختصين ومن المسؤولين في المؤسسات المختصة بهذا الشأن، مضاعفة الجهود لنحصل ما يمكن الحصول عليه من الآثار العمرانية لهذه المدينة ومخلافها، لتحكي لنا قصة حضارتها عبر العصور.



خريطة رقم (١). موقع مدينة جرش



خريطة رقم (٢) . موقع مخلاف جرش من الطريق الجبلي ما بين الحجاز واليمن